

## نظام الحكم عند امير المؤمنين عليه السلام

شيخ حيدر فاضل الشكري

قسم الشؤون الفكرية والثقافية العتبة العلوية المقدسة

### المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق اجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين واللعن الدائم على اعدائهم اجمعين الى قيام يوم الدين.

وبعد: فإن الإسلام هو منهاج حياة كامل يحقق للإنسان والأمة سعادة الدنيا والآخرة وهو ليس منهاجاً دينياً يختص بالعقيدة والعبادات من قبيل إقامة الفرائض كالصلاة والصوم والحج والزكاة وغيرها والإبتعاد عن المنكرات. بل إن الإسلام يعد نظاماً كاملاً للحياة بكل مجالاتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية وغيرها.

وإذا ارادت الأمة ان تدرك سعادتها في الدنيا ونجاتها في الآخرة، فلا بد لها من الرجوع إلى الإسلام في بناء ذاتها الذي لا يتحقق إلا من خلال بناء الشخصية الإسلامية وفق القوانين الإلهية التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. وتطبيق هذه القوانين لا يكون من قبل الأفراد فحسب، بل إن ذلك يتطلب وجود حاكم عادل تجري على يديه هذه القوانين لتحقيق العدل والمساواة وحماية الحريات ورعاية المبادئ وحقوق الإنسان في الأمة.

ومن هذا المنطلق نجد أن الإمام أمير المؤمنين (ع) قد وضع نظاماً للحكم قد أقامة في الكوفة أيام حكمه، إنه نظام قائم على العدل وإحقاق الحق لا نجد له مثيلاً في التاريخ إلى يومنا هذا ما عدا حكومة النبي الأكرم (ص) في المدينة المنورة، وسوف يطبق هذا النظام عند ظهور قائم آل محمد (ص) في آخر الزمان عند قيام دولة العدل الإلهي.

لقد تعرضت الأمة الإسلامية إبان حكم أمير المؤمنين (ع) إلى إنحرافات كثيرة وفوضى عارمة وإبتعاد عن المناهج الإسلامية في إدارة شؤون الأمة بحيث أدى ذلك إلى ظهور طبقات في الأمة إستأثرت بأموال المسلمين بأساليب مختلفة وأنشأت لها جاحاً ومركزاً بأسم الإسلام رغم أن عهدهم بالإسلام كان قريباً. هذه الطبقات كان ينبغي التصدي

لها وخاصة عندما أعلنت خروجها على أمير المؤمنين (ع) وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان.

إن المنهج الذي اعتمده أمير المؤمنين (ع) في التصدي لهذه الانحرافات في ساحة المسلمين هو تربية طلائع إسلامية وإعدادها إعداداً عقائدياً وفكرياً يؤهلها للسير خلفه (ع) للوقوف بوجه الانحرافات في هذه الأمة وإرساء دعائم مشروع الإصلاح في الكوفة والذي أراد الإمام (ع) له أن يمتد عبر القرون ولكل الاجيال. وتعبير آخر فإنه (ع) أراد أن يربي جيلاً عقائدياً يحمل على عاتقه مسؤولية الأمة ويتبنى منهجاً إسلامياً ينظم حياة الأمة ويحقق لها سعادتها.

في بحثنا هذا سوف نتطرق إلى ما ورد في نهج البلاغة حول نظام الحكم الذي إنتهجه الامام أمير المؤمنين (ع) وذلك من خلال خطبه ورسائله التي بعثها إلى ولاته على الأمصار وكذلك عهده للملك الاشر النخعي عندما ولاه مصر. هذا العهد الذي يمثل دستوراً كاملاً للسياسة العامة التي يجب على الحاكم إتباعها في مجالات الحياة كافة.

إن المبادئ التي وضعها أمير المؤمنين (ع) في إدارة شؤون الأمة إنما هي مبادئ تربوية على مستوى المجتمع عامة وعلى مستوى الأفراد خاصة، تضمن هذه المبادئ صلاح الأمة ونهوضها، على اعتبار ان صلاح الأمة بصلاح الحاكم الذي يقوم بما افترض الله تعالى عليه من حقوق الرعية، وكذلك صلاح الرعية بأداء الحق المفترض عليها اتجاه الحاكم كما سيتبين من خلال البحث.

لقد انتخبنا في بحثنا هذا مجموعة من كلمات أمير المؤمنين (ع) النيرة في عشرة مباحث وهي:

المبحث الأول: ضرورة وجود الحاكم.

المبحث الثاني: هدف الحكومة الحققة: إحقاق الحق وإقامة العدل.

المبحث الثالث: الحاكم أمين على الأمة وليس متسلطاً عليها.

المبحث الرابع: صفة الحاكم العادل الفاضل.

المبحث الخامس: الآثار الإيجابية المترتبة على إقامة العدل.

المبحث السادس: الآثار السلبية المترتبة على الظلم.

المبحث السابع: العدل سبيل الإستقرار والسعادة.

المبحث الثامن: حق الله تعالى على الوالي.

المبحث التاسع: وظيفة الحاكم العادل.

المبحث العاشر: خصائص الحكومة المهدوية.

لقد اتبعنا في هذا المبحث أسلوب الإختصار لما يقتضيه المقام راجين من الله تعالى التوفيق الدائم في خدمة الإسلام عامة وأهل البيت (ع) خاصة وأن يتقبل منا هذا القليل ليكون ذكراً لنا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

المبحث الاول

ضرورة وجود الحاكم

إن من أهم الضرورات لوجود الحاكم هو أن المجتمع يحتاج إلى الأمن والإستقرار ورعاية الحقوق وحل المشكلات والخلافات التي تعصف به، وكذلك دفع الأخطار الخارجية عنه، وهذا لا يتحقق إلا بوجود حكومة ووجود حاكم بغض النظر سواء كان هذا الحاكم صالحاً أو غير صالح.

هذا المعنى الذي بينه الإمام أمير المؤمنين (ع) في إحدى خطبه في نهج البلاغة عندما ردّ على الخوارج الذين رفعوا شعار (لا حكم الا لله) بعد واقعة صفين وقبول الإمام علي (ع) التحكيم مستفيدين من هذه الآية (إن الحكم الا لله)<sup>(١)</sup> بأن الحكم لله تعالى وليس هناك حاجة إلى الحكومة مع وجود القرآن الكريم، في حين أن الآية تريد أن تقول ان وضع الأحكام والقوانين من قبل الله تعالى أو النبي (ص) والإمام المعصوم (ع). ولكن حكم الله عز وجل لا بد ان يجري على يد البشر وأن الناس لا بد لهم ممن يحكمهم. لذا قال (ع): (كلمة حق يراد بها باطل. نعم إنه لا حكم إلا لله، ولكن هؤلاء يقولون: لا إمرة إلا لله)<sup>(٢)</sup> ونفي الخوارج الحكم لغير الله يستلزم نفي أي إمرة لأي إنسان كان.

ثم قال (ع): (وإنه لا بد للناس من أمير برّ أو فاجر) وهذا بيان لضرورة وجود الحاكم. معللاً (ع) ذلك بذكر سبعة علل تتضمن جوانب مادية ومعنوية حيث قال (ع):

(يعمل في إمرته المؤمن) في مراد هذه العبارة حصل اختلاف عند شراح نهج البلاغة بسبب عودة الضمير في (إمرته) هل هو للبرّ ام للبرّ والفاجر؟ فمنهم من ذهب إلى أن

الضمير يعود إلى الأمير براً كان أو فاجراً كالشارح البحراني والشيرازي في نفحات الولاية<sup>(٣)</sup> في حين يرى الشارح المعتزلي أن الضمير يرجع إلى الفاجر.

وهنا أقول: أن الأرجح هو عودة الضمير إلى مطلق الأمير. ففي إمرة البرّ يعمل المؤمن بكل حرية في أداء عبادته وغيرها. وفي إمرة الفاجر يمكن للمؤمن الإتيان بأعماله العبادية وغيرها ولو بصورة غير مطلقة. ولعل هناك مراد آخر للإمام أمير المؤمنين (ع) وهو عمل المؤمنين في حكومة الفاجر لدرء الأخطار عن المؤمنين وقضاء حوائجهم كما كان بعض اصحاب الأئمة المعصومين (ع) في حكومات الجور كعلي بن يقطين الذين كان يعمل في البلاط العباسي أيام الإمام موسى بن جعفر (ع).

(ويستمتع فيها الفاجر) من حيث أنصرافه إلى الدنيا ولذاتها ومخالفة القوانين الشرعية المتمثلة بأوامر الله تعالى ونواهيه.

(ويبلغ الله فيها الآجل) بمعنى أن الأمرة البرّة والفاجرة تنتهي ببلوغ أجل الإنسان وهذا من باب التخويف بالآجل.

(ويجمع به الفيء) يجمع بالأمير الفيء.

(ويقاتل به العدو) فوجود الأمير يقاتل أعداء الدولة وتدرء الأخطار عنها.

(وتأمن به السبل) بوجود الحكومة وسطوتها تصبح السبل آمنة.

(ويؤخذ به للضعيف من القوي) أخذ حق الضعيف من القوي الذي ظلمه.

وهنا يرد السؤال التالي: هل يمكن تحقق هذه العلل في إمارة الفاجر كما هي في إمارة البرّ؟

الجواب: نعم ولكن بصورة نسبية حيث أن الفاجر يقوم بها اضطراراً من أجل استمرار حكومته، فهو يراعي النظام ويقف بوجه الأعداء ويحاول التظاهر بالوقوف ضد الظلمة رغم أنه في حد ذاته ظالم. لأنه وبخلاف ذلك سوف تخرج الناس عليه وتضعف حكومته ويطيح به أعداؤه.

وأما النتيجة المترتبة على قيام الحكومة من خلال العلل السبعة التي ذكرها أمير المؤمنين (ع) فهي قوله (ع): (حتى يستريح برّ ويستراح من فاجر) يستريح البرّ من الدنيا وآلامها

ومسؤولياتها فهو يتوق إلى الآخرة ولقاء الله عز وجل. ولعل المراد أن يستراح البر من الفاجر وظلمه بموته أو عزله.

وفي رواية أخرى أنه (ع) قال: (أما الأمرة البرة فيعمل فيها التقى، وأما الأمرة الفاجرة فيمتنع فيها الشقي إلى أن تنقطع مدته، وتدركه منيته) <sup>(٤)</sup>. وهذا يعني أن التقى يكون حراً في ممارساته العبادية دون أي تعرض له في ذلك، والفاجر بمقتضى فجوره وانحرافه ينغمس في اللذات الدنيوية الحاضرة المخالفة لأوامر الله تعالى ونواهيه. وتنتهي مدة حكمه بانتهاء حياته حين تدركه المنية.

### المبحث الثاني

هدف الحكومة الحقّة: إحقاق وإقامة العدل

(أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء، أن لا يقاروا على كظة ظالم، ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكاس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهدي عندي من عطفة عنز) <sup>(٥)</sup>.

بعدما أقسم الإمام (ع) بهذا القسم (أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة) ذكر العلل التي دعت لقبول البيعة والتي ألزمته بالقيام بالأمر حيث قال (ع): (لولا حضور الحاضر) حضور المهاجرين والأنصار لبيعته.

(وقيام الحجة بوجود الناصر) إتمام الحجة عليه (ع) بوجود الناصر والمعين له في طلب الحق.

(وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم) ما أخذ الله عز وجل من العهد على العلماء في إنكار المنكر وشجب الإنحراف والوقوف بوجه الظلمة والإنصاف للمظلوم. و (الكظة) تعني إمتلاء الإنسان من الطعام، وكظة الظالم كناية عن استشاره بالحقوق، وأما سغب المظلوم فالمراد به جوع المظلوم وشدة تبعه من ظلامته.

ولولا هذه العلة لأنصرف (ع) عن الأمر كما في أيام الثلاثة الذين سبقوه ولترك الناس في حيرتهم وضلالهم لما ذكر (ع) من الطخية العمياء التي وقعوا فيها. حيث قال (ع) في هذا المعنى:

(لألقيت حبلها على غاربها) و (الغارب) أعلى كتف الناقة<sup>(٦)</sup>. وهذا تشبيه الخلافة بالناقة التي يلقي زمامها على كتفها لترعى حيث تشاء. (ولسقيت آخرها بكأس أولها) كناية عن أنصرفه (ع) عن الأمر بعد الثالث كما أنصرف عنه إيام الإثنين.

ونستدل مما سبق أن للعلماء دور كبير في إقامة نظام الحكم ونشر العدل وعدم السكوت والرضا بما يفعله الظالمون. فالعالم يجب أن يكون له دور في إقامة النظام السياسي والإداري والاجتماعي في المجتمع ولا يقتصر واجبه في مسائل الدين والحلال والحرام فقط. فرسول الله (ص) قام بدوره الديني والسياسي وكذلك أمير المؤمنين (ع) قام بهذين الدورين. وإذا كان العلماء هم ورثة الانبياء وأمناء الرسل كما ورد في الرويات الشريفة، فمن الواجب أن لا ينحصر دور العلماء في المساجد وفي إصدار فتاوى الحلال والحرام دون ان يكون لهم الدور في إقامة النظام السياسي والإداري في الأمة. وهذا يعني أن الدين والسياسة لا يفترقان أبداً.

وفي رسالة وجهها الإمام الحسين (ع) إلى العلماء في أيامه الذين لم يأمرؤا بالمعروف ولم ينكروا المنكر المتمثل بظلم وفساد السلطة الحاكمة آنذاك، قال (ع):

(مجاري الأمور بيد العلماء بالله الأمناء على حلاله وحرامه)<sup>(٧)</sup> أي أن كل مجاري الأمور السياسية والإدارية والاجتماعية في الأمة لا بد أن تكون بيد العلماء بالله.

وفي آخر هذا المقطع من خطبة الإمام أمير المؤمنين (ع) يبين استهائه بهذه الدنيا وأنها لا قيمة لها عنده وأنها أزهد عنده من عفة عنز. فليس له (ع) أي رغبة أو حرص على الخلافة كونها حكم وإمرة. وإنما ليقوم الحق وينشر العدل كما قال (ع) لابن عباس عندما كان (ع) يخصف نعله: ما قيمة هذه النعل؟ فقال ابن عباس: لا قيمة لها، فقال (ع): والله لمي أحب إلي من إمرتكم، إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً<sup>(٨)</sup>. ولا غرابة في ذلك لأن سيرته (ع) تشهد باستهائه بهذه الدنيا التي طلقها ثلاثاً لا رجعة فيها.

## المبحث الثالث

الحاكم أمين على الأمة وليس متسلطاً عليها

أن الحاكم لا يملك شيئاً من أموال المسلمين، بل هو أمين عليها، ولا يجوز له التصرف بها دون إذن الرعية، فهي أمانة إلهية يجب مراعاتها وحفظها ولا ينبغي الاستبداد في إدارة الأمور والتعامل بحذر مع بيت المال، قال تعالى: (( إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ))<sup>(٩)</sup>

لقد ورد هذا المعنى في كتاب للإمام أمير المؤمنين (ع) وجهه إلى ولاته ومنهم الأشعث بن قيس عامله على أذربيجان، وكذلك في كتابه (ع) إلى عماله على الخراج وفي عهده ماللك الأشر. حيث قال (ع) في كتابه للأشعث بن قيس: (وإن عملك ليس لك بطعمة، ولكنه في عنقك أمانة، وأنت مسترعى لمن فوقك، ليس لك أن تقتات في رعية، ولا تخاطر إلا بوثيقة)<sup>(١٠)</sup>، فالحاكم يجب عليه أن يكون أميناً على المال وليس له الحق أن يعتاش عليه وأن يدخره لنفسه فيكون وزراً عليه. وبين (ع) أيضاً أن الوالي هو رعية أميره الذي فوّه والذي جعله راعياً للناس أميناً على أموالهم وكل أمورهم الخاصة بولايتهم عليهم. وفي هذا وجوب استئذان الوالي لمن آسترعاه بما يخص ما استئمن عليه. وأنه لا بد أن لا يستبد برأيه في أمر يخص الرعية إلا بعد الرجوع إلى من آسترعاه. ولا يقدم على الأمور العظام إلا بما يوثق به في الدين، وتعبير آخر أن يكون الإقدام على الأمور الخطيرة الخاصة بالمال وغيره بما هو غير مخالف للعقل والشرع بحيث يثق به المسلمون.

وفي كتابه (ع) إلى عماله على الخراج قال (ع): (فأنصفوا الناس من أنفسكم، واصبروا لحوائجهم، فإنكم خزان الرعية، ووكلاء الأمة، وسفراء الأئمة)<sup>(١١)</sup>، وفي هذا وصية إلى عماله باتباع العدل والإنصاف مع الرعية وإعطاء حقوقهم التي عليه كما يجب أن يأخذ حقه منهم، والصبر على قضاء حوائجهم ويدخل هذا ضمن زكاة الجاه.

لقد عدّ (ع) ثلاث صفات لعمال الخراج يترتب عليها ثلاث مسؤوليات تقع على عاتقهم:

١- خزان الرعية: الأمانة على أموالهم في جمعها وانفاقها في مصالحها.

٢- وكلاء الأمة: الموكلون من قبل الأمة في أخذ حقوقهم من الناس الذين وجب عليهم الحق.

٣- سفراء الأئمة: فهم يمثلون الأئمة في كل ما يقومون به من فعل وما يلفظون به من قول.

وهذا مقام يقتضي حفظه من خلال تطبيق العدالة وحفظ الأمانة والإخلاص في عملهم وان يتعاملوا تعاملًا أخلاقياً حسناً مع الناس.

وفي عهده (ع) الى مالك الاشر يرسم الإمام (ع) سياسة الحاكم في تعامله مع رعيته والتي يجب ان تكون قائمة على الرحمة والمحبة واللطف لكي يبني له عرشاً في قلوب الناس لا أن يكون متسلطاً عليهم بالقوة والظلم. فقال (ع):

(واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعا ضارياً تغتتم اكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، او نظير لك في الخلق) (١٢).

وفي عهده (ع) لمالك الاشر ايضاً قال (ع) : (ولا تقولن إنني مؤمر أمر فأطاع، فإن ذلك إدغال في القلب ومنهكة للدين، وتقرب من الغير) (١٣)، وفي هذا نهى عن الإغترار بالمقام والقدرة والتفاخر على الرعية ووجوب طاعتهم له في كل ما يأمرهم مما يؤدي هذا إلى آثار وخيمة متمثلة بإفساد القلب والانحراف عن جادة الصواب وضعف الإيمان والدين، وكذلك تعرض الحاكم إلى سخط الرعية وثورتهم عليه لإزالته واحداث التغيير في الحكومة.

#### المبحث الرابع

##### صفة الحاكم العادل الفاضل

من عوامل العيش بأمان وسلام، وكذلك دوام الحكومة وقوتها هو أن يكون نظام الحكم قائماً على العدل، وهذا يستلزم وجود حاكم حق يستشعر العدالة في نفسه، بل يعيشها مع نفسه قبل أن يدعو لها ويسعى إلى تطبيقها بين الرعية.

ومن هذا المنطلق فقد اشار الإمام أمير المؤمنين (ع) إلى صفات الحاكم العادل الفاضل في قوله (ع): (وقد علمتم أنه لا ينبغي ان يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين، البخيل، فتكون في اموالهم نهمته، ولا الجاهل، فيضلهم

بجهله، ولا الجافي، فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول، فيتخذ قوماً دون قوم. ولا المرتشي في الحكم، فيذهب بالحقوق، ويقف بها دون المقاطع. ولا المعطل للسنة، فيهلك الأمة<sup>(١٤)</sup>،

وهذا يعني ان الفروج والانفس والأموال والقوانين وادارة امور المسلمين هي الاساس في إقامة الحياة في المجتمع والتي ينبغي للوالي حفظها لتأمن الأمة ويأمن الأفراد على حياتهم وأموالهم وأعراضهم.

لقد ذكر الإمام (ع) في هذا المقطع من خطبته خصائص ولاة العدل من خلال ذكر الرذائل وآثارها السلبية التي يجب على الوالي التنزه عنها، والتحلي بما يقابلها من الفضائل. وهذه الرذائل هي ستة: البخل والجهل والجفاء والحيف والرشوة وتعطيل سنة النبي الأكرم (ص). فالبخل يكون حريصاً على ما في أيدي الناس، والجاهل بقوانين الدين واحكامه واساليب ادارة الأمور في الحكومة سوف يقود الرعية الى الجهل والضلال. والجافي وهو العنيف والسيء الخلق في التعامل مع الرعية سوف يفكك كل اوامر الالفه والمحبة والاجتماع التي حث عليها الشارع المقدس، والحائف للدول وهو الظالم والجائر الذي يستأثر بأموال المسلمين ويختص بها بعضاً ممن ينتمي إليه بحسب أو نسب أو مودة وذلك على حساب الرعية كما حدث ايام عثمان بن عفان الذي أنفق بيت مال المسلمين على بني أمية والمقربين إليه، في نفس الوقت الذي منع العطاء عن خيرة صحابة رسول الله (ص) امثال عمار وأبي ذر وعبد الله بن مسعود وغيرهم. وأما المرتشي في الحكم فيذهب بحقوق الرعية بتغيير مجرى القضاء ليصدر احكاماً جائرة ضد المستضعفين من الناس الذين ليس لهم ناصر ولا معين إلا الله عز وجل. وأما المعطل للسنة التي جاء بها النبي (ص) والمتمثلة فيها قوانين السماء القائمة على العدل وحفظ نظام الأمة، فهذا يؤدي إلى هلاك الأمة دنيوياً وأخروياً.

ومما جاء في صفات الحاكم الفاضل في عهده لملك الأشتر قال (ع):

(وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده. فليكن احب الذخائر اليك ذخيرة العمل الصالح. فاملك هواك او شح بنفسك عما لا يحل لك. فإن الشح بالنفس والإنصاف منها فيما أحببت أو كرهت. واشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم،

واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعا ضارياً تغتتم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق) (١٥).

ما أروعها من عبارات جعل (ع) ما يصدر من حكم من عامة الناس ميزاناً لمعرفة الوالي ومدى صدقه وصلاحه. حيث أن الله سبحانه يجري للصالحين على ألسن عباده. والجدير ذكره ان هذا المعنى يتحقق في حال وجود الوعي عند الخلق، وأما بخلاف ذلك فلا قيمة لآرائهم بحق حكومتهم التي تحاول تضليلهم وتحريف افكارهم بما يخدم مصالحها. وأوصى (ع) مالك الأشر وهي وصيته لكل حاكم بأن يكون العمل الصالح من احب الذخائر التي ينتفع بها في الآخرة. وأن يكبح جماح الأهواء النفسية من قبيل شهوات النفس وغضبها.

قال ابو عبد الله (ع): (إحذروا أهواءكم كما تحذرون اعداءكم فليس شيء اعدى للرجال من اتباع اهواءهم وحصائد الستهم) (١٦)، وان تشح نفس الحاكم في مقابل المحرمات فيكون كالبخيل الذي يصعب عليه الانفاق ولو قليلاً. وان يكون الشح بالنفس ضمن حدود الإنصاف والعدل من دون إفراط ولا تفريط فيما احبّت او كرهت لأن ذلك سوف يؤدي إلى القاء النفس في مهاوي الهلكة الدنيوية والأخروية وكذلك يسعى الحاكم إلى ان يبني عرشاً له في قلوب الناس من خلال التعامل معهم بالرحمة والمحبة واللطف بصفاتهم: إما اخوة له في الدين او نظراء له في الخلق ومصداق ذلك هو الإمام أمير المؤمنين (ع) الذي جعل عرشه في قلب كل مؤمن ومؤمنة. يقول أحد الشعراء مخاطباً إياه (ع): لك في النفوس إمامة فيهون ولو عصفت بك الشورى او التعيين وفي مقطع آخر من هذا الدستور الذي وضعه (ع) لمالك الأشر ولكل حاكم على مر العصور، عدّ (ع) ثلاثة عشرة صفة لقاضي العدل الذي يحكم بين الناس وذلك لتحقيق العدالة بين الرعية، فقال (ع).

(ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك، ممن لا تضيق به الأمور، ولا تمحكه الخصوم، ولا يتمادى في الزلة، ولا يحصر من الفياء إلى الحق إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه، وأوقفهم في الشبهات، وآخذهم بالحجج،

وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم، وأصبرهم على تكشف الأمور، وأصرمهم عند اتضاح الحكم، ممن لا يزدنيه إطراء ولا يستميله إغراء، وأولئك قليل) (١٧)،  
المبحث الخامس

الآثار الإيجابية المترتبة على إقامة العدل

إن إقامة الحق والعدل في الدولة لا يكون إلا من خلال أداء الحقوق المتبادلة بين الحاكم والرعية، حيث ان صلاح الأمة هو بصلاح الحاكم، وكذلك العكس، فصلاح كل منهما يؤثر على الآخر. لذا قال أمير المؤمنين (ع) في إحدى خطبه في نهج البلاغة:  
(فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقه، وأدى الوالي إليها حقها، عز الحق بينهم، وقامت مناهج الدين، وأعدت معالم العدل، وجرت على أذلالها السنن، فصلح بذلك الزمان، وطمع في بقاء الدولة، ويئست مطامع الأعداء) (١٨)، وفي نفس هذه الخطبة قال (ع):

(وأعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية، وحق الرعية على الوالي، فريضة فرضها الله سبحانه لكل على كل) (١٩).

ان المراد بحق الوالي على الرعية طاعته، وحق الرعية على الوالي هو نشر العدل بينهم وايصال حقوقهم اليهم والانتصاف للمظلوم من الظالم. فإذا أدى كل منهما حقه إلى الآخر صلحت الأمور، ومن هنا فقد عدّ (ع) سبعة آثار ايجابية تترتب على إقامة الحق والعدل في الأمة وهي: (عز الحق بينهم) يكون الحق عزيزاً بينهم.  
(وقامت مناهج الدين) العمل بقوانين الدين وتشريعاته.

(وأعدت معالم العدل) ارتفاع راية العدل.

(وجرت على أذلالها السنن) جرت السنن وفق مناهج العدل.

(فصلح بذلك الزمان) صلاح الأمة وانتظام أمور الخلق الدنيوية والأخروية وارتفاع الفساد عنها.

(وطمع في بقاء الدولة) دوام الدولة وبقاؤها.

(ويئست مطامع الأعداء) تحقق الألفة بين الحاكم ورعيته نتيجة أداء الحقوق بينهما سوف يذهب طمع الأعداء لاتفاقهم وقوتهم.

## المبحث السادس

## الآثار السلبية المترتبة على الظلم

إن للظلم آثار دنيوية وأخروية متمثلة بالعواقب الوخيمة بما يخص الظالم والأمة. قاله عز وجل قد يمهّل الظالم من باب الإستدراج كما في قوله تعالى: (... سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) <sup>(٢٠)</sup>، وذلك زيادة في إثمه لينال العذاب الأليم، أو من باب إعطاء الفرصة للظالم لكي ينزع ويتوب عن ظلمه كما جاء في نهج البلاغة حيث قال أمير المؤمنين (ع): (ولئن أمهل الظالم فلن يفوت أخذه، وهو له بالمرصاد على مجاز طريقه، وبموضع الشجى من مساع ريقه) <sup>(٢١)</sup>.

لقد أعدّ الله عز وجل عذاباً اليماً للحاكم الجائر الضال في نفسه والمضل لغيره والذي يسوق الناس إلى الشقاء في الدنيا والعذاب في الآخرة كونه يحكم بهواه بغير هدى من الله تعالى. قال أمير المؤمنين (ع) في هذا المعنى: (وإن شرّ الناس عند الله إمام جائر ضلّ وضلّ به. فأما سنة مأخوذة، وأحيا بدعة متروكة. وإني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وآله - يقول: يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر، فيلقى في نار جهنم، فيدور فيها كما تدور الرحى، ثم يرتبط في قعرها) <sup>(٢٢)</sup>.

وأما بالنسبة لظلم العباد بعضهم لبعض مادياً كان أو معنوياً، فقد وعد الله تعالى الظالمين بالعذاب الأليم، قال عز وجل: (نار الله الموقد، التي تطلع على الأفئدة، أنها عليهم موصدة، في عمد ممددة) <sup>(٢٣)</sup>.

قال أمير المؤمنين (ع): (وأما الظلم الذي لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضاً، القصاص هناك شديد. ليس هو جرحاً بالمدى ولا ضرباً بالسياط، ولكنه ما يستصغر ذلك معه) <sup>(٢٤)</sup>. ومن ضمن الآثار السلبية الدنيوية نتيجة ظلم الحاكم لرعيته وعصيان الأمة لحاكمها هو ما أشار إليه أمير المؤمنين (ع) حيث قال: (وإذا غلبت الرعية واليهما، أو أجحف الوالي برعيته. اختلفت هناك الكلمة، وظهرت معالم الجور، وكثر الإدغال في الدين، وتركت محاج السنن، فعمل بالهوى، وعطلت الأحكام، وكثرت علل النفوس) <sup>(٢٥)</sup>.

ومن هنا يتبين أن مناشيء الفساد في الأمة سببها فساد الحاكم أو فساد الرعية أو كلاهما. وفي هذا المعنى ينقل صاحب العقد الفريد: (إطلع مروان على ضيعة له بالغوطة، فأنكر

منها شيئاً، فقال لوكيله: ويحك إني لأظنك تخونني! قال: أنظن ذلك ولا تستيقنه؟ قال: وتفعله؟ قال: نعم والله، إني أخونك، وإنك لتخون الخليفة، وإن الخليفة ليخون الله، فلعن الله شر الثلاثة) (٢٦).

ومن الآثار السلبية الأخرى المترتبة على الظلم هي تغيير نعمة الله وتعجيل نعمته لأن الله ناصر المستضعفين وهو للظالمين بالمرصاد كما جاء في نهج البلاغة حيث قال (ع):  
 (وليس شيء أدمى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نعمته من إقامة على ظلم، فإن الله سميع دعوة المضطهدين، وهو للظالمين بالمرصاد) (٢٧). وفي هذا تحذير من عاقبة الأستمرار بالظلم وهضم حقوق الرعية لأن عقابه سيكون في الدنيا قبل الآخرة.  
 عن الإمام الباقر (ع) أنه قال: (مامن أحد يظلم مظلمة إلا أخذه الله بها في نفسه وماله...) (٢٨).

### الفصل السابع

#### العدل سبيل الإستقرار والسعادة

إن قوانين العدل الإلهية توجب إنتزاع الظلامة من الظالم ورفع الجور عن المظلوم باسترداد حقه إليه مما يحقق صلاح حياة الأمة ونظامها، وبالتالي ضمان الأستقرار والسعادة.

قال الإمام المؤمن (ع): (والله لو وجدته قد تزوج به النساء، وملك به الإماء، لرددته) (٢٩)، أي أن الأموال والقطائع التي دفعها عثمان إلى قرابته في أيام حكمه سأقوم باستردادها إلى بيت المال حتى لو صارت مهراً للنساء وثنماً للأماء. وأن العلة في ذلك هي أن رد تلك القطائع إنما هو بمقتضى العدل الذي تنتظم به حياة الأمة ويصلح حالها. وأنه (ع) إن لم يقم بإرجاع الحقوق إلى أهلها سوف تفقد الناس ثقتها بالحاكم الجديد، لأنها سوف ترى لصوص الأمس يسرحون ويمرحون في نفس الوقت الذي يأن فيه الكثيرون من الجوع والفاقة بعدما منع عنهم العطاء. لذا قال (ع): (فإن في العدل سعة) (٣٠).

إن من شقّ عليه تطبيق مبادئ العدل في إرجاع الحقوق إلى أهلها، فإن الجور الذي أقدم عليه سيكون أشقّ عليه في الدنيا والآخرة. لأن العدل يسلبه الأموال اللامشروعة التي ستكون وبالاً عليه في الدنيا والآخرة، وبخلاف ذلك فسوف يخاطر بكل أمواله المشروعة

واللامشروعة فتأخذ منه ظلماً. قال (ع): (ومن ضاق عليه العدل، فالجور عليه أضيق)<sup>(٣١)</sup>.

ومن هنا يتبين أن تطبيق العدالة الاجتماعية سوف يضمن الحقوق لكل الأفراد دون التمييز بينهم وبالتالي سوف يؤدي إلى استقرار الأمة وسعادتها.

### الفصل الثامن

#### حق الله تعالى على الوالي

في نظام الحكم عند أمير المؤمنين (ع) أن هناك حق لله تعالى على الولاية ومن بيدهم مقاليد الأمور والحكم، ويتمثل هذا الحق بقضاء حوائج الرعية والتقرب منهم لمعرفة معاناتهم ومشاكلهم التي ينبغي أن يجدوا لها الحلول المناسبة وذلك لتوفير الحياة الطيبة لهم. وإنما صار كل هذا حقاً لله تعالى على الوالي لأن ما ناله الوالي من القدرة والمكنة إنما هو بفضل الله عز وجل، وهذا الفضل يوجب شكر المنعم وهو الله سبحانه. قال (ع):

(أما بعد فإن حقاً على الوالي أن لا يغير على رعيته فضل ناله، ولا طول خص به، وأن يزيده ما قسم الله له من نعمه دنواً من عباده، وعطفأعلى إخوانه)<sup>(٣٢)</sup>.

فالوالي يجب أن لا يحمله مقامه عند وصوله إلى الحكم العجب والغرور فيتغير على رعيته فيكون مستبداً ومتفرعناً عليهم، وعند ذلك سيكون الوالي قد خرج عن شروط الولاية التي تقتضي التعامل مع الرعية باللطف والمحبة والرحمة بهم.

### الفصل التاسع

#### وظيفة الحاكم العادل

إن وظيفة الحاكم العادل تكمن في استنقاذ حق المظلوم من الظالم، وهذا يستلزم وقوف الرعية معه لتحقيق مبادئ العدالة الاجتماعية ورفع راية الحق عالياً وذلك من خلال طاعة الرعية للحاكم والإمتثال لأوامره وترك أهواء أنفسهم. لذا قال أمير المؤمنين (ع) في إحدى خطبه في نهج البلاغة: (أيها الناس أعينوني على أنفسكم)<sup>(٣٣)</sup>، ثم أقسم (ع) أنه سوف يسترد حق المظلوم من ظالمه فقال (ع): (وايم الله لأنصفن المظلوم من ظالمه، ولأقودن الظالم بخزائمه حتى أوردته منهل الحق وإن كان كارها)<sup>(٣٤)</sup>.

الخزامة: هي حلقة من شعر تجعل في وترة أنف البعير ليشد فيها الزمام ويسهل قياده<sup>(٣٥)</sup>.

ما أروع هذا التشبيه، حيث شبه (ع) الظالم بالبعير الجامح الذي لا ينقاد إلا بالخزامة ليورده صاحبه مشربه كرهاً ليرتوي. والمعنى هو أنني سأقود الظالم رغماً عنه لأسترداد حق المظلومين ونشر القسط بين الناس، وهذا هو من أهداف بعثة الأنبياء كما في قوله تعالى: (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط)<sup>(٣٦)</sup>.

وفي هذا المعنى ورد عنه (ع) أنه قال: (الذليل عندي عزيز حتى أخذ الحق له، والقوي عندي ضعيف حتى أخذ الحق منه)<sup>(٣٧)</sup>.

وعنه (ع) أيضاً في وصيته للحسنين (ع): (كونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً)<sup>(٣٨)</sup>. إن ما ورد عن أمير المؤمنين (ع) في نصرة المظلوم والوقوف بوجه الظالم إنما هو مصداق ما جاء في كتاب الله عز وجل الذي حث المؤمنين على نصرة المظلوم ولو تطلب ذلك قتال الظلمة، قال تعالى: (وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والوالدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها وأجعل لنا من لدك ولياً وأجعل لنا من لدك نصيراً)<sup>(٣٩)</sup>.

### الفصل العاشر

#### خصائص الحكومة المهدوية

آلت ونحن في آخر المطاف التطرق إلى خصائص حكومة العدل الإلهي العالمية التي يقيمها الإمام المهدي المنتظر (عج) والتي أشار إليها الإمام أمير المؤمنين (ع) في نهج البلاغة حيث قال (ع) في الإمام المهدي (عج): (فيربكم كيف عدل السيرة، ويحيي ميت الكتاب والسنة)<sup>(٤٠)</sup>.

أي أن الإمام صاحب العصر والزمان (عج) عند ظهوره سوف يظهر السيرة العادلة القائمة على مبادئ الحق والعدل والحرية والمساواة والأمن والأستقرار. وسوف يحيي أحكام القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بعد أن درست آثارهما. وسيحكم العالم وفق نظام حكم إسلامي قائم على كتاب الله تعالى وسنة نبيه (ص). هذا النظام الذي تتوق إليه كل الشعوب في العالم بعدما عانت من الأنظمة الفاسدة على مرّ العصور، تلك

الأنظمة التي أنتشر فيها الجور والفساد وسلبت فيها الحقوق وأنتهكت فيها المحارم وسالت الدماء على قدم وساق.

إن الإمام (عج) عند ظهوره سوف يدعو الناس إلى الإسلام وسوف يهديهم إلى أمر مزلول عنه كما ورد في رواية عن الإمام الصادق (ع) حيث قال: (إذا قام القائم دعى الناس إلى الإسلام جديداً، وهداهم إلى أمر قد دثر فضل عنه الجمهور، وإنما سمي القائم مهدياً لأنه هدى إلى أمر مزلول عنه، وسمي بالقائم لقيامه بالحق) (٤١).

وعنه (ع) أيضاً أنه قال: (إذا قام القائم حكم بالعدل وأرتفع في أيامه الجور وأمنت به السبل وأخرجت الأرض بركاتهما ورد كل ذي حق إلى أهله ولم يبق أهل دين حتى يظهروا الإسلام ويعترفوا بالإيمان أما سمعت الله عز وجل يقول: (وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه ترجعون) (آل عمران: ٨٣)، وحكم في الناس بحكم داود وحكم محمد صلى الله عليهما فحينئذ تظهر الأرض كنوزها وتبدي بركاتهما فلا يجد الرجل منكم يومئذ موضعاً لصدقته ولا لبره، لشمول الغنى جميع المؤمنين) ثم قال (ع): (إن دولتنا آخر الدول ولم يبق أهل بيت لهم دولة إلا ملكوا قبلنا لثلاثين يوماً إذا رأوا سيرتنا إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء، وهو قول الله عز وجل: (والعاقبة للمتقين) (الأعراف: ١٢٨) (٤٢).

إن البشرية في ظل حكومة العدل العالمية ستسير باتجاه التكامل المادي المعنوي وفيها تحيى كل القيم الإسلامية وسيعم الخير وتعم البركة في كل أرجاء المعمورة.  
الهوامش:

(١) الانعام: ٥٧.

(٢) نهج البلاغة: ٧٩ الخطبة / ٤٠.

(٣) شرح ابن ميثم البحراني: ١٠٣/٢، نفحات الولاية لمكارم شيرازي: ٢٧٧/٢.

(٤) نهج البلاغة: ٧٩ الخطبة: ٤٠.

(٥) نهج البلاغة: ٣٠، الخطبة ٣ الشقشقية.

(٦) منهاج البراعة للمحقق الخوئي: ٩٦/٣.

- (٧) بحار الأنوار للمجلسي: ٣٧.
- (٨) نهج البلاغة: ١٣٤، الخطبة / ٣٣.
- (٩) النساء: ٥٨.
- (١٠) نهج البلاغة:
- (١١) المصدر السابق نفسه: ٥٨٦، كتاب / ٥١.
- (١٢) المصدر السابق نفسه: ٥٩٠، كتاب / ٥٣
- (١٣)
- (١٤) نهج البلاغة: ٢٤٧-٢٤٨، الخطبة / ١٣١.
- (١٥) المصدر السابق نفسه: ٥٩٠، كتاب / ٥٣.
- (١٦) الكافي للكليني: ٣٣٥/٢ ح ١، باب اتباع الهوى.
- (١٧) نهج البلاغة: ٦٠٠-٦٠١، كتاب: ٥٣.
- (١٨) نهج البلاغة: ٤٥٢، الخطبة: ٢١٦.
- (١٩) المصدر السابق نفسه.
- (٢٠) الأعراف: ١٨٢.
- (٢١) نهج البلاغة: ١٧٩، الخطبة: ٩٧.
- (٢٢) المصدر السابق نفسه: ٣٠٩، الخطبة / ١٦٤.
- (٢٣) الهمزة: ٦-٩.
- (٢٤) نهج البلاغة: ٣٤٠، الخطبة: ١٧٦.
- (٢٥) المصدر السابق نفسه: ٤٥٢، الخطبة: ٢١٦.
- (٢٦) العقد الفريد: ٢٣/١.
- (٢٧) نهج البلاغة: ٥٩٢، كتاب: ٥٣.
- (٢٨) الكافي للكليني: ٣٣٢/٢ ح ١٢ باب الظلم.
- (٢٩) نهج البلاغة: ٤٠، الخطبة: ١٥.
- (٣٠) المصدر السابق نفسه.
- (٣١) المصدر السابق نفسه.
- (٣٢) نهج البلاغة: ٥٨٥، كتاب: ٥٠.
- (٣٣) نهج البلاغة: ٢٥٤، الخطبة: ١٣٦.
- (٣٤) المصدر السابق نفسه.
- (٣٥) منهاج البراعة للمحقق الخوئي: ٢٩٤/٨، نفحات الولاية للشيرازي: ٣٢٦/٥.

(٣٦) الحديد: ٢٥.

(٣٧) نهج البلاغة: ٧٧، الخطبة: ٣٧.

(٣٨) المصدر السابق نفسه: ٥٨١، كتاب: ٤٧.

(٣٩) النساء: ٧٥.

(٤٠) نهج البلاغة: ٢٥٧، الخطبة: ١٣٨.

(٤١) روضة الواعظين: ٢/٢٠، الإرشاد: ٢/٣٨٣.

(٤٢) الارشاد للمفيد: ٢/٣٨٥.

المصادر

القرآن الكريم

١- نهج البلاغة للشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ) تحقيق د. صبحي الصالح، ط دار الاسوة/ طهران الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.

٢- منهاج البراعة للمحقق حبيب الله الخوئي (ت ١٣٢٦هـ) ط دار احياء التراث العربي/ بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

٣- شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ)، ط دار الثقلين/ بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٤- نفحات الولاية في شرح نهج البلاغة لناصر مكارم شيرازي، ط دار جواد الأئمة/ بيروت الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ.

٥- الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ) دار التعارف للمطبوعات/ بيروت ١٤٠٣هـ.

٦- بحار الأنوار لمحمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ) مؤسسة الوفاء/ بيروت ١٤٠٣هـ الطبعة الثانية.

٧- روضة الواعظين لمحمد بن الفتال النيشابوري (ت ٥٠٨هـ) منشورات دليل ما مطبعة نكارش/ ايران قم ١٤٢٣هـ الطبعة الأولى.

٨- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد للشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن نعمان العكبري (ت ٤١٣هـ) مؤسسة آل البيت (ع) لأحياء التراث/ قم المقدسة ١٤١٦هـ الطبعة الثانية.